

علماءنا ودورهم في تطوير الدرس اللساني بين المعترفين بفضله والمنكرين له

Our Scholars and Their Role in Developing Linguistic Studies: Between Those Who Acknowledge Their Contributions and Those Who Deny Them



قسوم يوسف¹

¹ جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي - الجزائر-

gyoucef690@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2025/07/10 تاريخ القبول: 2025/11/28

ملخص:

يعالج هذا المقال مسائل مهمة حول الدرس اللساني العربي الحديث وربطها بالقديم وتضع استراتيجيات استشرافية للرقى به، كما تطرح إشكالية تتمثل في انقسام الباحثين إلى ثلاثة أصناف ممّا ولّد صعوبة لدى كثير من القراء والمتابعين في اختيار صنفٍ ينحازون إليه، إمّا الصنف الأول الذي يرى أنّ دروسنا اللغوية عربية أصيلة يعود الفضل فيها إلى جهود علمائنا من اللغويين والفلاسفة والنقاد من أبناء الجيل الأول ثم طوّرها من جاء من بعدهم بما استفادوا من نظريات العلوم الحديثة. أو الصنف الثاني الذي ينكر تماما أنّ العرب لا علاقة لهم بالدرس الحديث. أو الصنف الثالث الذي يحاول التوفيق بين الرأيين، وهو ما تبناه المقال.

الكلمات المفتاحية: الدرس اللساني الحديث؛ الموضوع، المنهج؛ الغاية؛ العلاقة.

Abstract:

This article addresses important issues concerning modern Arabic linguistic studies and their connection to traditional studies, while also proposing forward-looking strategies for enhancing them. It also raises a problematic division among researchers, who fall into three categories, creating difficulty for many readers and followers in choosing a position to align with. The first group believes that Arabic linguistic studies are genuinely original, crediting the efforts of early scholars, linguists, philosophers, and critics from the first generation, which were further developed by later scholars who benefited from modern scientific theories. The second group entirely denies that Arabs have any connection to modern linguistic studies. The third group, which is adopted by the article, attempts to reconcile the two views.

Key words: Modern Linguistic Study; Subject; Method; Purpose; Relationship.

* المؤلف المراسل

1. مقدمة:

كما هو معلوم لدى الدّارسين من مختلف الملل والنحل خاصة المنصفين منهم بأنّ الدراسات اللغوية جاءت على إثر المعجزة التي شهدتها المجتمع القريشي العربي بنزول كتاب الله السماوي بلسان عربي مبين، وكان هدف الدراسات اللغوية تشمل البيان، والشرح، والتفسير، والتأويل. كما كانت هذه الدراسات تحت غطاء ديني، ولم تكن لغويةً صرفةً حيث تنوّعت بين التفسير والفقه والأصول. والغريب كمثّل غريب القرآن، ولمّا وصلت هذه الدراسات إلى القرن الثاني كما يقول السيوطي -رحمه الله-: "منذ منتصف القرن الثاني الهجري بدأ علماء المسلمين يسجلون الحديث، ويؤلفون في الفقه الإسلامي والتفسير القرآني، وبعد أن تمّ تدوين هذه العلوم اتّجّه العلماء وجهة أخرى نحو تسجيل العلوم غير الشرعية ومن بينها اللغة والنحو" (السيوطي، 2003، صفحة 208).... بل وصلت العلوم اللغوية إلى الذروة بحلول القرن الخامس الهجري، كما يقول أحمد مختار عمر: "...أزخ العلماء لنضوج العلوم اللغوية وصولها إلى الذروة في القرن الخامس الهجري، ففيه اكتملت الأعمال المعجمية كما وصل النحو والأصوات والصرف إلى الذروة قبلها" (عمر، 1975، صفحة 11).

والدرس العربي القديم كان زاخراً بشقّي العلوم، وظلّ يشعّ نوره إلى أن سقطت الاندلس <<الفردوس المفقود>>، والحديث يطول عنها وعن علمائها الذين كانوا سبباً في انقشاع ليل "أوروبا" التي كانت تعيش في ظلمات الجهل وتسلط الكنيسة. بالوصول إلى الدراسات اللغوية الحديثة حيث تأثر الدارسون والباحثون العرب بالمدارس والنظريات اللسانية التي منها المدرسة البنيوية والمدرسة الوظيفية والمدرسة الغلوسيميائية (يلمسليف) ومدرسة النحو التوليدي التحويلي، وقد تفاعل الباحثون العرب مع منجزات هذه المدارس، وهذا لا يعني تقبّل كل ما جاءت به، فقد كانت ولادة عسيرة للدرس العربي الحديث إكتنفتها معارضة شديدة من قبل بعض الباحثين، وتأييد مطلق من بعضهم الآخر، وصولاً إلى من جمّعوا بين الأصالة والمعاصرة خاصة في بلاد الشام ومصر، تلك البلدان التي أرسلت طلابها إلى أوروبا وبعثات نتج عنها تلاقح حضاري كمثّل ما أثاره رفاعة الطهطاوي: "أوفدوا طلابهم ليحدثوا تلاقحاً حضارياً، فبعد عودة الطلبة حملوا بذور التغيير". فقد أثار رفاعة الطهطاوي بعد عودته من أوروبا قضايا لغوية مهمة كدراسة اللغات على رأسها الفرنسية (علوي، 2009، الصفحات 34-35). ولهذا طرحنا بعض الأسئلة كإشكالية نحاول أن نجيب عنها بما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

كيف يمكن التوفيق بين الآراء المختلفة حول الدرس اللساني العربي الحديث، في ظل انقسام الباحثين بين من يعتقد بأصالة الدروس اللغوية العربية، ومن ينكر تماماً أي علاقة للعرب بالدرس اللساني الحديث، وبين من يحاول التوفيق بين الرأيين؟ وما هي الاستراتيجيات الاستشرافية التي يمكن

أن تُعتمد للرقى بالدرس اللساني العربي المعاصر مع التوفيق بين النظريات الحديثة والحفاظ على تراثه وهويته؟

هذه الإشكالية تعكس التحدي القائم في التعامل مع الدرس اللساني العربي من حيث أصالته وعلاقته بالدراسات الحديثة، وكيف يمكن تبني استراتيجيات متوازنة تعزز من فهم القراء وتوجيههم واختيار الصنف الذي يروونه مناسباً؟

وإذا كان المعارضون لاستقبال الدرس اللساني العربي الحديث يرون أنه قد نشأ ونما وتطوّر في أحضان لغات أخرى لا تمتُّ للغتنا العربية الأصيلة بأية صلة، فقد اعتبروا اللسانيات منهجاً بحثياً خاصاً بلغات أخرى ذات خصائص وسمات تختلف عن خصائص وسمات لغتنا العربية، بل لا علاقة لها ببيئتنا وثقافتنا وتقاليدينا وأعرافنا ولله درُّ الباحث رشيد عبد الرحمان العبيدات حيث يقول: "من العسر والتعذر أن أطبّق منهجاً بحثياً وُضع مناسباً للغة أو اللغات ذات سمات خاصة على لغة امتلكت قوة خلودها وبقائها راسخة على خصائصها..." (العبيدات، 2000، صفحة 22). ولهم أدلة أثبتت صحتها الأيام والحوادث والعلوم التكنولوجية والتجريبية، مع ذلك نحن مع من رحّبوا باللسانيات الحديثة، بل بالقراءات المعمقة ودراسة المناهج قدر الإمكان بشرط ألاّ نتخلّى عن لغتنا وفصاحتنا وبلاغتنا ونرتقي في أحضان من يقولون: بأنّها لغة شعرية كبّلتها القواعد من نحو وصرف وبلاغة وعروض كما يدّعي بعض التغريبيين والعلمانيين والحداثيين عندنا. وهذا الباحث رشيد عبد الرحمان العبيدات يؤكد ما قلته: "ولعليّ لا أبالغ إذا قلت أنّ ثمة غُلُوّاً أو جموداً يلحُجُّ به نفرٌ من المغرمين بالبحث الألسني الأوروبي في هذا القرن بهدف الانصراف عن البحث العربي الأصيل إلى الالسنية الحديثة، ولاسيما المعنيين بالعربية ممّن تعلّموا شيئاً عن الغربيين أو اطلعوا على ما جاءت به التّرجمات في كتب البحث اللساني في فرنسا وغيرها من أقطار أوروبا بعد دي سوسير 1913 م..." (العبيدات، 2000، صفحة 21). وقد أثبت بعض الدارسين أنّ هناك أزمات وإشكالات جمّة شكّلها التضارب المفاهيمي، واستقبال اللغة العربية للسانيّات الحديثة وهذا ما نصّ عليه الباحث حافظ إسماعيل العلوي: "... ليس من المعقول أن تتحدّث عن أزمة علم ما ومآله بالقفز عن مراحل تشكيله الأولى، وما ينتج عنها من إشكالات فالأزمة عادة ما تكون نتيجة لا سبباً، وحتى وإن صحّ الحديث عن أزمة فإنّ إدراك حقيقتها لا يمكن أن يكون إلّا بجعلها أزمة إنطلاق لا أزمة نمو" (علوي، 2009، صفحة 62).

بل يذهب بعض الباحثين أنّ مبعث اللسانيات ونظرياتها ومناهجها وتطبيقاتها على لغتنا إنّما الهدف منه هو التشكيك في الموروث العربي، "لقد وجد الباحث العربي نفسه تبعاً لعدد من الممارسات الاستشراقية التي أرادت فرض سيطرتها عليه، والانحراف به عن المنهج العلمي بغية التشكيك في الجدوى التاريخية المعرفية في الحضارة الإسلامية، كما وجد نفسه أيضاً تبعاً لعدد كبير من النظريات والمناهج

والمدارس الغربية، لأنه لا يملك نظرية خاصة به مستوحاة من الحضارة التي يريد أن ينطق باسمها" (عياشي، 1990، صفحة 15).

كذلك الباحث يختار ويندهش إذا كان من المبتدئين في وُلوج عالم اللسانيات والدرس اللساني الغربي وتطبيقه على اللسانيات العربية والدرس العربي الأصيل لأنّ الدرس اللساني الغربي متشردم ومتباعد بسبب إختلاف المشارب ممّن نقلوه لنا من المشاركة الذين يترجمون عن الإنجليزية والمغاربة الذين يترجمون عن الفرنسية. ويكفي أن نعطي مثلاً حياً ذكره عبد السلام المسندي في قاموس اللسانيات ما يربو عن عشرين إسماً لهذا العلم؛ فقال: "اللغويستيك، فقه اللغة، علم اللغة، علم اللغة الحديث، علم اللغة العام الحديث، علم فقه اللغة، علم اللغات، علم اللغات العام، علوم اللغة، علم اللسان، علم اللسان البشري، علم اللسانية الدراسية اللغوية الحديثة، النظر اللغوي الحديث، اللغويات الجديدة، اللغويات الجديدة، اللغويات اللسانية، الألسنيات، اللسانيات..." (المسدي، 1984، صفحة 72).

وعليه لا مناص من العقلانية والمزاوجة بين القديم والحديث كما دعا إليه عبد الرحمان الحاج صالح -رحمه الله- الذي دعا إلى المزاوجة بين تراثنا واللسانيات الحديثة كمثال دعوته التوافقية إلى ما يُعرفُ بالنظرية الخيلية الحديثة التي عكست مطالعات الرجل العميقة للتراث وذلك في الفكر النحوي واللغوي لـ عمرو بن العلاء، عيسى بن عمر، وإسحاق الحضرمي من قبلهما، والخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه. وأكد -رحمه الله- على أنّ لهم منهجا استقرايا قائماً على المشاهدة والرواية الصحيحة، كما أنّ الحاج صالح كان مطلعاً على النظريات الجديدة التي جاءت بها اللسانيات وخُلصَ إلى القول بأنّ النظريات الجديدة يجب أن تُركّز على النظريات القديمة وألاّ يُزْدَرى أو يُهْمَش ما خُلفه القدامى وفي ذلك يقول: "ضرورة لجوء الباحث إلى نظرية علمية في اللغة تستطيع أن تستجيب لما يبتغيه من الصياغة المنطقية الرياضية..." ونعتقد أنّ هذه النظرية بالنسبة للعربية يُمكن أن نجدّها عند النحاة الأولين ممّن أبدعوا في كلّ المفاهيم والمناهج التحليلية العربية الاصيلّة التي تنتمي إلى مدرسة الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه" (الحاج صالح، 2007، صفحة 317).

فهذا النص وغيره من النصوص التي لا يتسع المقام لذكرها دليل كافٍ للاقتداء بعلمائنا القدامى الذين تركوا لنا مناهج استقرائية قائمة على المشاهدة والرواية والقياس يمكن من خلالها تشكيل نظريات متكاملة في جميع النواحي اللغوية -مع ذلك يبقى السؤال مطروحاً- هل الذين يهاجمون التراث قرأوه وتمعنوا فيه وإطلعوا على جهود قممنا من جهابذة المسلمين والعرب الذين أبدعوا أيّما إبداع دون مجاملة وتزكية.

2. تصنيف الكتابة اللسانية العربية الحديثة

تأثر اللغويون العرب كغيرهم من الأمم بالثقافة الوافدة من الغرب إنهاراً أو إتباعاً أو إعجاباً وهذه قد تكون عند معظم البشر، وبالتالي تنوع الخطاب اللساني اللغوي العربي الحديث، وتعددت الكتابات من المغرب العربي إلى المشرق، وكانت لهذه الكتابات عوائق ومشاكل إن على مستوى الموضوع أو المنهج أو الغاية. وفي هذا الصدد نتعرف على معايير تصنيف الكتابة اللسانية العربية الحديثة، وأنواع الكتابة ومعوقاتها. وقبل البدء أشير إلى أن كثيراً من الباحثين كتبوا حول هذا الموضوع، وهذا لا يلغي أن تستثمر الكتابة لزيادة الإفادة والتعمق أكثر، ولأننا نعمل بما اخترعه بعض الباحثين بقولهم حول أي موضوع يتم طرقة (قُتِلَ بحثاً) لأنه من المستحيل أن تُقتل البحوث لأن الأساليب تتعدد كما تتعدد العبارات والإضافات والرؤى للبني السطحية والعميقة من باحث إلى آخر، ولا أدل على ذلك فقد طالعنا الأخبار أن (شكسبير) مثلاً قد تمت الدراسة حول مؤلفاته بما يربو عن 30000 دراسة ولا تزال الدراسة قائمة حوله، ولم يقل أحد من بريطانيا أو الغرب أنه قُتِلَ بحثاً، ونحن يهمننا تصنيف الكتابة. والتصنيف العربي الذي يحتاج إلى معرفة الأنواع والخصائص والمميزات والاهتمامات والمعوقات، حيث يقول الباحث مصطفى غلفان: "نحتاج إلى تقديم جملة من المعايير الجديدة التي يمكن إعمالها لتحديد نوعية الكتابة اللسانية العربية الحديثة وهذه المعايير هي: الموضوع والمنهج والغاية" (غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، 1998، صفحة 91). يكاد يجمع عليها المحدثون خاصة الذين تأثروا بلسانيات "سوسير" التي اعتبرها مبادئ نظرية ومنهجية لا يمكن الاستغناء عنها، بل عُدَّت نقلة نوعية وتحولاً في تاريخ الفكر العربي اللغوي.

1.2 معيار الموضوع بين القدامى والمحدثين

الموضوع في الدرس اللساني العربي الحديث يُرادُ به التعمق في دراسة النظريات اللسانية ومبادئها ومنهجها وأعلامها والوقوف عند التراث اللغوي العربي القديم واللغة الفصحى أو إحدى لهجاتها. كما ورد "الموضوع إحدى القضايا التالية: النظريات اللسانية ومبادئها ومنهجها وأعلامها وما يتصل بها... (والثاني) التراث اللغوي القديم من حيث إنه تصورات وطرق للتحليل... (والثالث) اللغة العربية الفصحى القديمة والحديثة أو إحدى لهجاتها (غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، 1998). وبما أن الموضوع يُعدُّ من القضايا التي تهتمُّ بها الدراسات الإيبستمولوجية لتحديد الفواصل والفوارق بين العلوم المتداخلة. وبهذا يعود الفضل إلى سوسير الذي استطاع أن يحدده ويؤسس اللسانيات الحديثة، وكانت غايته أن تُدرس اللغة دراسة علمية مستقلة عن بقية العلوم، بل قطعها عن المنهج التاريخي تماماً. وقد ورد في هذا الشأن ما طرحه (جرهارد هلبش) في كتابه "تاريخ علم اللغة

الحديث" ما يلي: "فإنّ فهم اللغة على أنّها نظام علائقي وعلى أنّها بنية داخلية، وفهم كيف اتخذت نموذجاً لدى "دي سوسير" من خلال أفكاره" (هلبش، 1981، صفحة 91). رأي "دي سوسير" حول استقلالية علم اللغة وتجريدها عن العلوم الأخرى يأتي بشكل واضح في كتابه الشهير "محاضرات في اللسانيات العامة" (Cours de linguistique générale). في هذا الكتاب، شدد دي سوسير على أن اللغة يجب أن تُدرس كـ "نظام من العلامات" ينظم العلاقات بين العناصر المختلفة، بعيداً عن العوامل الخارجية مثل التاريخ أو السياق الاجتماعي. فهو يعتبر أن موضوع علم اللغة يجب أن يكون اللغة في حد ذاتها ومن أجل ذاتها (la langue pour elle-même).

ركز دي سوسير على أهمية دراسة اللغة من منظور تزامني (Synchrony) بدلاً من منظور تعاقبي (Diachrony)، ما يعني دراسة اللغة في لحظة زمنية معينة، وليس عبر تطورها عبر الزمن. من هنا جاء مفهومه الأساسي المتعلق بالبنية اللغوية التي تتكون من العلاقات بين الوحدات المختلفة، وأن اللغة ليست مجرد مادة ملموسة، بل هي نظام علاقات شكلية (سوسير، 1987). وقد تأثرت الجامعات العربية بهذا المفهوم الذي يدعو إلى استقلالية العلوم وهذه الاستقلالية لا تتأتى إلاً بتحديد الموضوع وتوضيحه لأنّ هذا ما تدعو إليه اللسانيات الحديثة، وفعلاً تأثر الباحثون بهذا النهج كما ورد في هذا الشأن: "... لكي تحدد اللسانيات موضوعها كان عليها أن تفعل ذلك برسم مسافة فاصلة بينهما وبين علوم المجتمع والتاريخ... الأمر الذي يوضح بجلاء البون الشاسع أو القطيعة النهائية مع ما كان يُمارس داخل الدرس اللغوي السابق... كما يفسر حادثة الدرس اللساني وجدة مشروعه" (العمري، 2001، صفحة 15). وإذا طبقنا ما قاله الباحثون عن الدرس اللساني العربي الحديث نجده متعدداً أو غير دقيق وفيه خلط بين أنواع الخطابات اللسانية لأنّه لم يطبق تلك المعايير بحذافيرها، هذا لا يعني التسليم بما قاله "دي سوسير" أو غيره في هذا المجال وهكذا تمّ تصنيف الكتابات اللسانية العربية الحديثة إلى كتابات تراثية وتعليمية ومتخصصة.

وعلى سبيل المثال نأخذ أمثلة عن عدم الدقة في مجال التعريف المصطلحي حيث لا يخلو التعريف المصطلحي من العديد الصعوبات اللسانية التي تمنعه وتعيقه أحياناً كثيرة من الوصول إلى صياغة سليمة ومجدية للمفهوم المراد الوصول إليه، فهو في أصل وصفه المعجمي: "تعريف علمي مختص لا يحدّد الدلالة المركزية العامة للمدخل، ولا يراعي صلة المدخل بالنظام اللساني بل يكتفي بتحديد الدلالة في المجالات العلمية كالطب والفيزياء و اللسانيات وغيره من مجالات الخبرة الانسانية" (حلامية، 1999، صفحة 138). وإذا حللنا هذا التعريف يصبح من الصعب تحقيق تعريف مصطلحي نصل من خلاله إلى مفهوم علمي وفق المعايير اللسانية الصحيحة من حيث الدقة والموضوعية. يجب أن نعمل بما أكّد عليه بعض

اللسانيين كمثال فهي حجازي، حيث يقول: "لا بدّ أن نتجنّب الإيحاء والعموم وعدم الدقّة ولهذا فإنّ المصطلحات ينبغي أن تكون دالة على نحو مباشر ودقيق وبعيد عن اللغز والغموض، وعندما نستخدم كلمات من اللغة العامة في لغة التخصص فإنّ هذه الكلمات تكتسب في استخدامها الجديد دلالة محددة وغير عامة، فتصبح دلالة الكلمة في اللغة العامة مختلفة عن دلالتها الاصطلاحية" (فهيم، 1993، الصفحات 14-15).

ولنأخذ مثلاً آخر حول علم اللغة الاجتماعي وكيف يتم الخلط وعدم التقييد بما جاء في هذه المعايير فعندما نطالع كتاب اللغة والمجتمع لعبد الواحد وافي تجده قد تعرّض لتعريف علم اللغة الاجتماعي، فهو يؤكد على ضرورة أن اللغة ظاهرة اجتماعية وهي بوصفها هذا؛ تُعدّ من موضوعات علم الاجتماع ولدراسة أيّة لغة في نظره يجب أن يكون منطلقها من منظار علم الاجتماع، وبمنهج علم الاجتماع وآلياته لأنّ هذا العلم يبيّن ويوضّح ويُفسّر الظواهر اللغوية من حيث نشأتها وتطوّرها كما يكشف عن القوانين التي تخضع لها هذه الظاهرة ويوضّح مدى تأثرها بالظواهر الاجتماعية الأخرى (وافي، صفحة 07). وهذا التعريف يتنافى مع دعت إليه اللسانيات البنيوية التي اهتمت بدراسة اللغة وفق حيّز علمي مغلق في ذاتها ولذاتها وذلك لأنّها تهمل البعد الاجتماعي وكذلك "دي سوسير" واتباعه يركزون على جعل اللغة مستقلة عن بقي العلوم. والباحث في عمق التاريخ وتحديدًا عن الكتابة وعن الموضوعات يجد أنّ "علماءنا الأجلاء اختلفت توجهاتهم العلمية فمنهم القراء ومنهم النحاة ومنهم علماء الأصول ومنهم الفلاسفة" (حساني، 2013، صفحة 61). فكلهم تعرضوا لشتى العلوم في جميع المجالات بداية من سيبويه والخليل وابن جني والزمخشري وصولاً إلى العصر الحديث والمعاصر ومنهم "تمام حسان وإبراهيم أنيس وعبد الرحمان الحاج صالح وعبد الجليل مرتاض وخولة الابراهيمي وبشير إبرير..." الذين أسهموا في إنجاز البحث العلمي اللغوي وكلّ واحد حسب منظوره الخاص.

وبالنسبة للكتابة في الموضوعات كالترجمة وطرح القضايا اللغوية نجد كما ذكرت أنفأ من العرب من أسهموا في الترجمة والكتابة على سبيل الذكر (كتاب اللغة والمجتمع) لعلي عبد الواحد وافي، كتاب (المدخل إلى علم اللغة) (ومناهج البحث اللغوي) لعبد التواب رمضان وعالجوا عدّة قضايا لغوية، كتاب (التعريف بين المبدأ والتطبيق) لأحمد بن نعمان، كتاب (اللسانيات الاجتماعية) لجميل حمداوي. هؤلاء جميعاً وغيرهم درسوا المناهج الغربية واستفادوا منها، ولكن كانت لهم بصماتهم الخاصة التي يُشكرون عليها وكل ما قلته في هذا العنصر لا يعني بالضرورة أنّي أتماهى مع ما جاء عن "دي سوسير" واتباعه فقط قدّمت قراءة متواضعة حول الموضوع كميّار من معايير الكتابة اللسانية ومدى إلزام الكتاب العرب بذلك.

وعلى سبيل المثال نذكر بعض الباحثين والعلماء الذين حاولوا بالهوض باللغة ودفعوا الدراسات اللغوية إلى مواكبة العصر وتحريرها من قيود التبعية والتقليد والجمود، بل تبنا المنهج الوصفي من خلال النظرية اللسانية الحديثة حتى تواكب المستجدات الثقافية والحضارية ونذكر من بينهم: "إبراهيم مصطفى الذي دعا إلى إحياء النحو حيث رأى النحو القديم يتسم بالغلو والابهام ولم يعد مناسباً لزماننا ويقول في هذا الشأن: <<أطمع أن أُغَيَّرَ منهج البحث النحوي للغة العربية وأن أرفع عن المتعلمين إصر هذا النحو وأبذلهم منها أصولاً سهلة يسيرة تقرهم من العربية وتهديهم إلى حظ من الفقه بأساليبها>>" (مصطفى، 1994، صفحة أ).

وإبراهيم مصطفى دعا في كتابه (إحياء النحو) إلى إلغاء نظرية العامل لأنه يرى أن النحاة القدامى كانوا شكليين واستبعدوا المعنى، ومهما يكن فقد حاول الكتابة واجتهد، لكن مساره النقدي وقع في اختلاف بين المنهج والتطبيق ولتعليل ذلك نرى أن إلغاء العامل يعني ضياع وتهدم النحو وجعله من دون قواعد ثابتة في رفع بعض الكلمات ونصبها وجرها وجزمها، وبالتالي فقد أخفق في تحقيق أهدافه. مثله مثل بعض مواقف العلماء المحدثين الذين رفضوا العامل النحوي في الدراسات اللغوية (لأنهم يطبقون المنهج اللغوي الحديث الذي يقوم أساساً على ملاحظة اللغة المدروسة نفسها ولا يعترف بالمنطق الأرسطي) (حسان تـ، 1958، صفحة 51). وإذا وقفنا باختصار عند إبراهيم أنيس نجد أنه هو الآخر حمله الطموح إلى محاولة تغيير في النحو العربي من أجل تيسير الصعوبات النحوية، والبعد عن خطر التأويل والتقدير حسب نظره فألف كتاب (أسراراً للغة) وحاول أن يثبت أنه استخدم الاستقصاء العلمي، متمثلاً روح العصر الجديد والحداثة اللسانية، وتوجّه إلى الاعراب وأنكر دوره في المعنى، بل حاول أن يعيد النظر في قضايا مثل: التنوين والمثنى وجمع المذكر السالم والقياس. ثم جاء من بعده تلميذه مهدي المخزومي الذي سار على منوال أستاذه إبراهيم مصطفى وصرّح أن أستاذه لم يكتب له النجاح فيما طرحه من أفكار، يقول: "لم يكتب لها النجاح حيث عصفت بها رياح السلفيين الذين رفضوا أي تغيير للأصول النحوية وكانت ردود فعلهم إتهاماً واستعداء، فلم يحسن الدارسون استقبال محاولته الأصيلة، فكان ذلك خيبة أمل له قعدت به فيما أظن عن أن يواصل ما بدأ به" (المخزومي، 2003، صفحة 29). وهو الآخر دعا إلى إلغاء نظرية العامل وإبعاد المنهج الفلسفي وجاء من بعده شوقي ضيف وأراد إعادة النظر في التراث النحوي، حيث حقق كتاب (الرد على النحاة) ووضع مشروعه في ثلاثة كتب. مرحلة كتاب (الرد على النحاة) سنة 1947 وتأليفه لكتابين؛ الأول (تجديد النحو) سنة 1982، والثاني (تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً) سنة 1986، وطالب بإعادة تنسيق أبواب النحو وإلغاء النحو التقديري وضبط الحدود والأبواب النحوية. كما لا يفوتنا أن نتحدث عن محاولة تمام حسان الذي طالب بتجديد النحو ودعا إلى إلغاء نظرية العام واستبدالها بنظرية القرائن التي ترى أن اللغة العربية ذات نظام لغوي مركب من ثلاثة أنظمة هي النظام

الصوتي والصرفي والنحوي وهذه القرائن اللفظية والمعنوية هي التي تكون سببا مباشراً في نجاح الدرس النحوي كما اتخذ المنهج الوصفي الحديث للعلاج حيث يقول: "والغاية التي أسمى وراءها بهذا البحث أن ألقى ضوءاً جديداً كاشفاً على التراث اللغوي العربي كلّهُ منبعثاً من المنهج الوصفي في دراسة اللغة..." (حسان. صفحة 10).

وخلاصة القول في هذه النقطة: إنّ ما طرحه تمام حسان يُعدُّ محاولة جريئة، بل قدّم نموذجاً يمتاز بالطابع الوصفي التطبيقي لكنه خالف المنهج الوصفي الحديث، كونه درس اللغة المنطوقة وأضاف إليها دراسة اللغة المكتوبة وهذا مخالف لمعايير اللسانيات الحديثة التي تأثر بها. كما كانت للمجامع اللغوية دور كبير في توجيه الأحكام النحوية وطرح بدائل تجمع بين الأصالة والمعاصرة وبين المناهج القديمة والحديثة، بل ركّزت على إلغاء نظرية العامل وتخليصه من الفلسفة والتأويل، إلّا أنّها بقيت عاجزة في نظر المنصفين عن الإتيان ببدايل لما طرحه السلف والسابقون من أمثال الخليل بن أحمد وسيبويه والفرّاء وغيرهم، وكما كان للدرس النحوي هذا الزخم كان للدرس والكتابة في جميع العلوم من البلاغة، النقد، والأدب الحديث والمعاصر والسرديات والمعاجم نصيب كبير لا يستهان به، بل قد حاول الكتاب طرق كثير من الموضوعات محاولين الاستفادة من اللسانيات بمختلف فروعها، وهذا ديدن البحث على مرّ الزمان والعصور، الذي يحاول بعث الحياة والروح في جميع الدراسات اللغوية العربية وسنة الله في خلقه التدافع والخلود لصاحب الحجّة القوية.

2.2 المجتهدون المحدثون ودورهم في الانتقال من المناهج القديمة كالتقريرية والانطباعية إلى

الحديثة كالإبداعية

في هذا المقال ركزت على معايير تصنيف الكتابة اللسانية العربية الحديثة حسب الموضوع والمنهج. وبما أنّ القرن التاسع عشر شهد ثورة علمية وتفاعلات معرفية فما عاد للذوق والانطباع المتسم بالسطحية مكان، بل لم يعد مناسباً لروح العصر العلمية ممّا استدعى من النقاد استثمار الروح العلمية في إيجاد مناهج جديدة تحاول الاقتراب من العلمية والابتعاد عن التقريرية والانطباعية والتأثرية، فظهرت مناهج سياقية أثرت في العمل الإبداعي إنتاجاً، وتلقياً وقراءة ونقداً. ودون إطالة نقف بداية عند المنهج ونختار المنهج الوصفي كونه يعالج المسائل اللسانية الحديثة >>منهج يقوم على دراسة وتوصيف الظاهرة والعلاقات القائمة بينها بهدف الوصول إلى وصف علمي متكامل لها>> (حامد، 2008. صفحة 44).

كما أنّ المنهج يُعدُّ أداة من أدوات البحث الإجرائية التي يجب على الباحث أن يلتزمها أثناء دراسته، كذلك " اللسانيات الحديثة الممتدة لتحقيق العلمية لأنّه كما ورد: غايته إضفاء العلمية والموضوعية على الحكم الذي يتوصل إليه" (عودة، 2009. صفحة 17). و "دي سوسير" حاول أن يطبق هذا المنهج في دراساته اللسانية، وبما أنّ العلاقة جدّ وثيقة بين المواضيع والمناهج فقد أكّد الباحثون على

ذلك "إنّ الموضوع المعالج يتأثر حكماً بالمنهج المعالج، وقد تتغير حقيقته إذا ما عُولج بمنهج غريب.." (فضل الله، 1998، صفحة 15).

والأسئلة المطروحة لدينا: هل العرب استفادوا من هذه المناهج؟ هل لديهم رؤية تَبَنُّوها في كتاباتهم اللسانية الحديثة، كون المنهج من الأسس الأبستمولوجية أثناء عملية البحث والتنقيب عن الخلفيات الفلسفية والمعرفية؟

وبعض العرب كما ذكرنا في الموضوع قد تأثروا بالمناهج الغربية وباللسانيات الحديثة، بل إعتدوا إتجاهات لا تنفك عمّا جاءت به اللسانيات العربية الحديثة التي قسمت إلى ثلاثة أقسام: "المنهج التعليمي التربوي الذي يروم تقديم المعرفة للقارئ العربي... والمنهج إعادة القراءة والمناهج العلمية المعروفة في اللسانيات..." (غلفان، في اللسانيات العامة، 2010، صفحة 91). وقد أدرك الكتاب العرب أهمية المنهج ودوره المهم وأولويته قبل طرق المواضيع في مجال اللسانيات... "نحتاج إلى تحديد المنهج أولاً، ثمّ الموضوع ثانياً" (غلفان، في اللسانيات العامة، 2010، صفحة 209). ومن أجل هذا دافع مؤيدو اللسانيات الحديثة من العرب على مثل هذا الطرح، وصنّفوا أنواع الخطّاب اللساني بفضله، وبما جاء به من معايير، ونحن مع مذهب الوسطية والتوفيق بين المناهج التي اعتمدها أسلافنا والمناهج الحديثة، وممّا أعجبنا في كتاب (منهج البحث الأدبي واللغوي) للمؤلفين د. محمد عبد علي الكريم الرديني ود. شلتاغ عبود قولهم: "... ولا يعني ما تقدّم أنّ الباحث اللغوي مطلوب منه أن يُمسك بمعول يهدم به صرح البناء اللغوي الذي شيّده الأسلاف ممثلاً فيما خلفوه من تراث، بل يعني تحديداً في طريقة الدراسة والبحث يبعث الحيوية والنشاط في جسد كاد يبرد، أبأوه أو جسد ركبته الأمراض والعلل، وكاد أقرب الناس إليه ينفضون من حوله لطول رقوده" (الكريم ووشلتاغ، 2010، صفحة 186). كما يواصلان الحديث بهذا الشأن بقولهما: "فلو أنّنا استعنا بهذا التراث بعد فحصه، ومناقشته وإخضاعه للمنهجية العلمية المناسبة للعصر، لأمكننا انقاذ اللغة، ونحينا عنها ما يشكو منه أبناؤها من صعوبة فهمها، وعسر التعبير عنها، وجنّبناها ما تهتم به من عجز عن مواكبة ركب الحضارة" (الكريم ووشلتاغ، 2010، الصفحات 186-189). وبالمناسبة هذا الكتاب في المناهج الأدبية واللغوية جدير بالقراءة ويحسن بالباحثين والطلبة من الطلاع عليه بما يحتويه من فوائد جمّة قديمة وحديثة.

كما لا ننسى أنّ الدرس اللساني الحديث عرف حركيّة واسعة على مستوى التأليف في عديد الكتابات خاصة المؤلفات التي عُنيت بالمستوى الصوتي، وهذه الكتابات عالجه الباحثون مع الارتباط بالتراث الصوتي بالإضافة إلى الاستفادة من الجانب التكنولوجي وتحديداً في تحليل أصوات اللغة العربية وكما هو معلوم أنّ الصوتيات هي فرع من فروع اللسانيات وكان للفونوتيك والفونولوجيا حصّة معتبرة لدى باحثينا الذين استفادوا من العلوم الحديثة وطبقوها على ما وجدوه في تراثنا خاصة علم الترتيل

والتجويد ووجدوا أنه لا يختلف كثيراً عما أبدعهُ علماؤنا القدامى الأفاضل...، وإذا جازَ لنا أن نؤسس فكرة اللسانيات العربية إنما ارتبطت بنقل نتائج البحث اللساني العربي الحديث، فإننا سنحدد هذه النشأة بعودة الموفدين المصريين من الجامعات الأوروبية حيث درسوا المناهج اللسانية الحديثة وبدأوا بنشر بحوثهم اللسانية من ذلك التاريخ (حسن، صفحة 59). وقد أَلَّفَ عديد من العلماء مثل: تمام حسان (مناهج البحث في اللغة)، كذلك محمود السعرا (علم اللغة مقدمة للقارئ العربي)، وقد جعلوا موضوع الدرس يدور حول الدراسة الصوتية بنوعها الفونوتيكا والفونولوجيا. وأَلَّفَ إبراهيم أنيس في (اللهجات العربية القديمة) و(في الأصوات اللغوية) والمقام لا يتسع لتفصيل ذلك.

كما شكَّلَ التراث الصوتي العربي مَرْجِعاً مهماً للكتابات الصوتية الحديثة وعمل المحدثون على ربطها بالدرس الصوتي، وحديثاً استفادوا من التكنولوجيا من تحليل الأصوات اللغوية، وهذا يدعونا إلى تسارع الخطى في هذا المجال خاصة ونحن نعيش في دول غنية وتملك الأموال وبإمكاننا أن نُبدِعَ في جميع المجالات الكتابية والمضامين المفيدة.

3.2 تصنيف الخطاب اللساني اعتماداً على معيار الغاية لدى القدامى والمحدثين

عند الحديث عن الخطاب اللساني العربي القديم والحديث نجد تلك الأسباب والدواعي والغايات متوفرة رغم ما أصابنا من جمود وكساد. وعلى ضوء الدراسات الحديثة وكبكية الشعوب تمّ اعتماد معيار الغاية لتصنيف الخطاب اللساني العربي الحديث ضمن عمل إستيمولوجي يتوخّى الحدود الفاصلة بين تلك الأنواع التي تتعدد مواضعها وغاياتها. وفي هذا المعنى نجد تعريفاً موجزاً لصاحبه مصطفى غلفان: "وإنّ المعنى المقصود في موضوع اللسانيات هو الغاية المتوخاة من كل نشاط فكري... غير أنّ الموضوع في اللسانيات لا يقدِّم نفسه بشكل تلقائي، إنّهُ نتيجة عمل تصوري ومنهجي..." (غلفان، في اللسانيات العامة، 2010، صفحة 213). نفهم من هذا التعريف أنّ العلاقة الوثيقة بين هذه المعايير مجتمعة، وكما هو معلوم لدى الدارسين أنّ الغاية لها ثلاثة أهداف: الهدف الأول تتمثل في تبسيط المعرفة والثاني: التوفيق بين التراث اللغوي القديم والنظريات الحديثة وصولاً إلى الهدف الثالث: وهي الاقتراحات وتفسير الظواهر اللغوية العربية. وفي هذا الصدد يضيف مصطفى غلفان: "الهدف الذي يرومه الباحث اللغوي من وراء خطابه اللساني من حيث الغاية ثلاثة أنواع: الأول: تبسيط المعرفة وتقريبها من القارئ العربي المتخصص والثاني: التوفيق بين التراث اللغوي القديم في جوانبه المتعددة ومضامين النظريات اللسانية الحديثة والثالث إقتراح وصف أو تفسير جديدين لظواهر لغوية عربية" (غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، 1998، صفحة 91).

وبالبحث في عمق التاريخ العلمي العربي يجد أنّ علماءنا الأجلاء قد اختلفت توجهاتهم العلمية، فمنهم القراء ومنهم النحاة ومنهم علماء الأصول ومنهم الفلاسفة (حساني، 2013، صفحة 61). فكلهم تعرضوا

لشتى العلوم في جميع المجالات خاصة منها الدراسات اللغوية بمناهجها المختلفة بداية من سيبويه والخليل، ابن جني، الزمخشري وصولاً إلى العصر الحديث ونذكر على سبيل المثال تمام حسان وإبراهيم أنيس وعبد الرحمان الحاج صالح وعبد المالك مرتاض وغيرهم ممّن أسهموا في إنجاز الدرس الحديث من المشاركة والمغاربة الذين لا يتسع المقام لذكر أسمائهم جميعاً. وللتاريخ وللإنصاف فقد بحث علماءنا منذ القدم على أثر الإسلام على اللغة وما جاء معه من كلمات جديدة غير عربية احتواها القرآن، كما بحثوا الأثر الجغرافي في اللغة وسلامتها حين عرضوا لفصاحة اللهجات ودرجاتها وتفاوتها (سنادي، 2009، صفحة 216). وعلمائنا أدركوا وجود تلك الحقائق التي تشير إلى أنّ لغة الخطاب يجب أن تكون موجهة على حسب المستويات الثقافية والاجتماعية التي تنادي بها اللسانيات الحديثة والخطابات المعاصرة. كما يقول الباحث: "فهم في الحقيقة أدركوا وجود هذه العلاقة في دراستهم وحتى في خطاباتهم اليومية، ومن ذلك قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- <<خاطبوا الناس على قدر عقولهم>>" (عبد القادر بن محمد، صفحة 125). ولهذا نقول إنّ العرب قديماً تطرقوا لكل ما أبدعته اللسانيات ولكن كان ينحى منحى التطبيق دون وجود نظريات ودون وضع مصطلحات علمية ويكفي أن نشير إلى العلامة ابن خلدون من خلال كتابه (المقدمة) وقد تعرّض إلى عدة قضايا لغوية واجتماعية أصبحت الآن مثار البحث لدى العالم بأسره، وأيضاً مالك بن نبي -رحمه الله- وهذا يؤكد أنّ للعرب دوراً في نشأة هذه العلوم. وبالعودة إلى أنواع الكتابة اللسانية في الخطاب العربي الحديث نجد أنواع الكتابة اللسانية اعتمدت على الموضوع والغاية والمنهج كما كانت لتلك الكتابة معوقات وأزمات منها ما تمّ معالجتها ومنها التي لا تزال قيد الدراسة، وتنتظر وضع الحلول والاستراتيجيات، ومن هذه الكتابة:

- الكتابة اللسانية التمهيدية: وهذه تسعى عن طريق التمهيد والتقريب لاطلاع القارئ العربي على التيارات اللسانية الغربية، كما يؤكد على ذلك الباحث مصطفى غلفان: "يشكل ممّا تقدمه اللسانيات الحديثة من مبادئ ومناهج جديدة في دراسة اللغة البشرية بصفة عامّة وتعتمد المنهج التعليمي... وغايتها تقديم اللسانيات ومفاهيمها النظرية والمنهجية للقارئ العربي" (غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، 1998، صفحة 91).
- الكتابة اللسانية التراثية: غايتها إعادة قراءة التراث والاطلاع عليه، والتوفيق بينه وبين ما وصل إليه الدرس اللساني الحديث وقد أشرت في ثنايا المقال عند الحديث عن مؤلفات تمام حسان أو عبد الرحمان أيوب والمتوكل وعبد الرحمان الحاج صالح. وكانت غايتهم وصف اللغة في ضوء ما قدمته اللسانيات الحديثة واعتمدوا المناهج اللسانية كالمنهج الوصفي الذي تؤكد عليه الدراسات الحديثة، ومع ذلك نشير إلى جملة من المعوقات التي واجهت الدرس

اللساني العربي الحديث كما أورده حافظ إسماعيل: "وباعتبار اللسانيات من العلوم الإنسانية التي نشأت في أحضان الثقافة الغربية الحديثة، ثم وفدت إلى البلاد العربية، فقد اعترضتها عدّة صعوبات ممّا جعلها تحيد وتبتعد عن مسارها العلمي الذي انتجت فيه ومرت ذلك إلى العوائق السيسولوجية والاستيمولوجية وعجز اللسانيات عن حل مشاكلها الخاصة" (علوي، 2009، الصفحات 80-81).

كذلك نجد معوقات موضوعية منها الأيدولوجية والاجتماعية والثقافية العربية ومشاكلها متعددة. كذلك نجد المعوقات الاستيمولوجية التي ترتبط بكنه الدرس اللساني العربي الذي يجعله لا يواكب الدرس الغربي من تقدّم وانفتاح في عدّة مجالات معرفية وعلمية وفلسفية ناهيك عن علم النفس، علم الاجتماع والرياضيات. تلك العلوم التي استعان بها الدرس الغربي بينما نجد القلة قليلة عندنا كمثّل عبد الرحمان الحاج صالح -رحمه الله- الذي استعان بالرياضيات في مجال اللسانيات. والحديث عن العوائق لا تكفيه مجلدات ونحن مقيدون بصفحات معدودة في هذا المقال، لا يمكننا أن نتجاوزها ولذلك إكتفينا بهذا. وفي ختام هذه الكلمات نحن مع التوفيقين وضد نظرة التشاؤم لدى بعض الحداثيين الذين ينظرون إلى اللسانيات العربية نظرة احتقار ودونية، بل يرونها كأثمها أزمة فوق أزمة تحت أزمة، وهذا ليس من الإنصاف بتاتاً، فالغرب الذي يراه بعضهم نموذجاً فهو لم يتخلّ عن مبادئه ولغته وأعرافه وثقافته، بل ها هم اليهود أعادوا الحياة للغتهم وثقافتهم وكتاباتهم بعدما إنمحت العبرية كما يقول الباحثون أكثر من خمسة قرون، فلم لا نكون مثلهم، ونعيد الحياة للغتنا وثقافتنا وكتابتنا مهما كانت الظروف والأزمات والمعوقات.

وبالنسبة للقضايا اللسانية نرى أن نتوجّ هذه القضايا بما دعا إليه كثير من الباحثين من وطننا وخارج وطننا من الباحثين والفلاسفة واللسانيين وعلى سبيل الذكر، كنموذج نأخذ العلامة عبد الرحمان الحاج صالح -رحمه الله- الذي دعا إلى التوفيق بين الأصالة والمعاصرة وهو في هذا الشأن لم يكتف بالخطاب المستهلك بل قدّم إنجازات تعدّ أنموذجاً وظيفياً صالحاً لتوظيفه واستعماله كبديل في عصرنا هذا يتمثل في النظرية الخليلية الحديثة التي عكست مطالعات الرجل العميقة للتراث في الفكر والنحو كدراسته لعمر بن العلاء، وعيسى بن عمر وإسحاق الحضرمي ودراسة أعمال الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه. حيث أيقن أنّ النظريات الحديثة يجب أن تركز على النظريات القديمة، وأكد -رحمه الله- على وجوب معالجة ما خلفه القدماء دون ازدراءه أو تهيمشه لأنهم استخدموا المنهج الاستقرائي القائم على المشاهدة والرواية الصحيحة، وفي ذلك يقول: >>... ضرورة لجوء الباحث إلى نظرية علمية في اللغة تستطيع أن تستجيب لما يبتغيه من الصياغة المنطقية الرياضية، فالنظرية اللغوية

التماسكة أي التي لا يشوبها الغموض أو الخلط في الفاهيم. ولا تقتصر على بعض أشكال هذا التحديد دون بعض. هي الغاية المنشودة التي يجب أن يحققها اللغويون الذين يتعاملون مع الحوسبة اللغوية في العلاج الآلي للغة ونعتقد أنّ هذه النظرية بالنسبة للعربية يمكن أن نجدّها عند النحاة الأولين ممن أبدعوا كلّ المفاهيم والمناهج التحليلية العربية الأصيلة التي تنتهي إلى مدرسة الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه >> (الحاج صالح، 2007، صفحة 317).

يضيف أيضاً عبد الرحمان الحاج صالح -رحمه الله-: >>... إنّ الدراسات اللغوية لن يكون لها أثر أو شأن إذا لم يرجع أصحابها إلى الخليل بن أحمد ويحاولوا أن يهتموا بما قصده هذا الرجل العبقري بتحليلاته لظاهرة اللغة... ويا حبّذا لو درسوا في القوت نفسه نظريات علوم اللسان الحديثة لأنّ فيها من المعاني والمفاهيم لو تدبروها لوجدوها شديدة الشبه بما يجدونه في تلك الكتب القديمة >> (الحاج صالح، 2007، صفحة 317).

وكذلك نورد ما قاله الباحث الأوروبي الذي أنصف العرب والمسلمين، روجر بيكون (1214-1294) الذي درس علوم العرب وتأثر بمنهجهم، يقول: "... إنّ أوروبا دُعيت فجأة إلى الحياة بعد أن ظلت غارقة في ظلمات الجهل طوال 05 قرون وهي مدينة بكل مقوماتها إلى العالم الإسلامي وأنّ الفكر الأوروبي كان من المستحيل أن يكون له شأن يذكر لولا وجود المعارف العربية..." (الكريم ووشلتاغ، 2010، صفحة 34).

3. خاتمة:

في خلاصة مقالنا الذي نراه محاولة لتحفيز الهمم والرقى بالدرس اللساني العربي الحديث من حيث الموضوع والمنهج والغاية، توصلنا إلى النتائج الآتية:

- التخلص من مركب النقص الذي عشعش في أذهان كثير من الباحثين والطلبة كون العرب لا علاقة لهم باللسانيات الحديثة ولا علم لهم بالاستقراء والقياس والاستنباط.
- رفض موقف الثورة على كل الموروثات العربية التي لولا فضل الله ثم فضلها لما كنّا ننجز مثل هذه المقالات والملتقيات.

- تبني الرؤية الموضوعية وتقبل الآراء ما دامت تتصف بالجدة والصالح والنظرة العلمية والمنهجية المعترف بها عالمياً من طرف الهيئات وأولي الاختصاص.

- الاستفادة من التنقيب في مناهج البحث اللساني الغربي الحديث مع عدم نسيان مناهج الحضارة الإسلامية كالمنهج الاستقرائي الذي استوحاه علماء المسلمين من التوجيه القرآني ووظفوا الاستدلال والقياس في شتى العلوم التي كتبوا حولها ونبغوا فيها، بل يحسُن بنا عدم إقصاء المناهج التقريرية والابداعية التي نادى بها القدامى لما لها من فوائد جمّة في عالم الكتابة أثبت التاريخ جدواها.

- عدم الولوع والاعتزاز بكثرة المدارس والتيارات الغربية الوافدة لأنّها جعلت العلماء والباحثين في ضيق وعسرو تململ واضطراب وعليه يحسن اختيار أهمها والاستفادة منها بما يتناسب مع لغتنا وأصالتنا لأنّها ولدت في بيئة غير بيئتنا ومستويات الخطاب تختلف من بيئة إلى أخرى.

في الأخير يحسن بالمشرّفين على العمل الجامعي والتربوي أن تكون لهم قرارات سيادية في تطوير اللغة والدرس اللساني العربي في جميع التخصصات وتكريسهما في أرض الواقع والاستفادة من خبرات ونظريات وأطروحات علمائنا وباحثينا الذين نحسبهم من الصفوة والنخب العالمية بما لديهم من نظرة متعقلة حكيمة ومواقف وسطية معتدلة ونذكر منهم على سبيل المثال عبد الجليل مرتاض -رحمه الله- وعبد الرحمان الحاج صالح -رحمه الله- وصالح بلعيد من علماء بلدنا، ناهيك عن علماء الوطن العربي الكبير. بل يجب علينا أن نحسب طلبتنا وباحثينا بما هو مرصود في تراثنا العظيم.

فعلى سبيل المثال، ها هو السيوطي -رحمه الله- له كتاب المزهري في علوم اللغة، وحد اللغة وتصريفها وصنع اللغة، واصل اللغة من الأصوات، الألفاظ ودلالاتها. وهذا الصاحب قد أبدع في فقه اللغة، وكتاب اللغة توقيف أم اصطلاح، وما يميز الأنسان العربي وهذا ابن جني له كذلك: هل اللغة مواضعة، والخصائص، التبليغ من اللغة ومن خارجها. كما نجد التوحيدي قد أنعش المكتبة العربية بكتبه كالهوامل والشوامل بين اللغات، ونجد الرازي العامل الفيلسوف له ما يجيب عن الأسئلة المطروحة لدى الفلاسفة المحدثين كمثال التفسير الكبير، الفكر واللغة، وهذا ابن حزم نجد له الأحكام في أصول الأحكام وكتابه الشهير لا تفاضل بين اللغات وكتاب تعدد الألسنة، وأما العلامة ابن خلدون -رحمه الله- غلبة اللغة بأهلها، وعندما نصل الى الغزالي نجده ابدع في كتابه المستقصى وكتاب دلاله الألفاظ على المعاني، وعندما نعرض على عبد القادر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز نقف مشدوهين، وغيره من العلماء الأماجد كأبي هلال العسكري في كتابه الفروق في اللغة، ولا يفوتني أن أعرج على بعض علماء عصرنا وكتابنا مثل عبد السلام المسدي في الحضارة العربية كذلك.

من أهم الكتب الفلسفية في مجال لغة كتاب اللغة دفاتر فلسفية للكاتبين محمد سبيلة وعبد السلام بن عبد العالي، وكذلك كتاب بحوث في اللغة للمؤلف قطبي الطاهر، وكذلك لا أنسى أحمد مختار عمر في كتابه محاضرات في علم اللغة الحديث، وعبد الواحد وافي في كتابه علم اللغة، وكذلك كتاب المدخل في علم اللغة لرمضان عبد التواب، وكتاب علم اللغة لمحمود السعران، وميشال زكريا في كتابه الألسنية وخولة طالب الإبراهيمي في كتابها مبادئ في اللسانيات وكمال بشر في كتابه دراسات في علم اللغة.

المقال يتبنى ما دعا إليه عبد الرحمان الحاج صالح من دعوة توافقية تجمع بين الأصالة والمعاصرة ويتمنى العمل بما أنجزه من نماذج نراها صالحة لتوظيفها ميدانيا وقراءتها واستعمالها كبديل في عصرنا هذا. كمثل النظرية الخليلية الحديثة التي عكست مطالعات الرجل العميقة للتراث في الفكر والنحو ودراسته لعمر بن العلاء، وعيسى بن عمر وإسحاق الحضرمي، وأعمال الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه. حيث أيقن أنّ النظريات الحديثة يجب أن تركز على النظريات القديمة، وأكد -رحمه الله- على وجوب معالجة ما خلفه القدماء دون ازدراءه أو تهيمشه لأنهم استخدموا المنهج الاستقرائي القائم على المشاهدة والرّواية الصحيحة.

كما نجد من الباحثين الذين عاشوا في أوروبا وتحديدا في إنجلترا وعاشوا الغرب وعلماء الغرب وانتهوا إلى خلاصة نتائج يرفض فيها الاستلاب الفلسفي الغربي بل دعوا إلى الجمع بين الأصالة والمعاصرة وأخذ ما يصلح لنا من نظريات منهم الباحث عبد العزيز حمودة الذي يقول: «أرفض قطعاً أن أظل علامة تائمة تسبح حسب ما يقذفها التيار ويطلب منها أن تستقر في نهاية المطاف فوق شاطئ سوسير وشتراوس وياكوبس وباراك ودريدا بل حتى إيدموند هوسرل ومارتن هايدغر، بينما شطآن الجاحظ وقدامة بن جعفر وابن طباطبا العلوي وعبد القاهر الجرجاني وحازم القرطاجني قريبة، أقرب ممّا يتصوره الكثيرون من العقل والقلب...» (حمودة، أوت 2001، صفحة 257).

حبذا لو يعود بعض الباحثين إلى منجزات وتآليف علمائنا الأماجد وكتبيهم القيمة للاستفادة منها.

4. قائمة المراجع:

- إبراهيم مصطفى. (1994). إحياء النحو (الإصدار 02). القاهرة، مصر: دار الكتاب الإسلامي.
- أبو الفيض عبد القادر بن محمد. (بلا تاريخ). الموافقة الإلهية. بيروت، لبنان: كتاب ناشرون.
- أحمد حساني. (2013). مباحث في اللسانيات (الإصدار 02). الامارات العربية المتحدة: منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية.
- أحمد مختار عمر. (1975). البحث اللغوي عند العرب مع دراسة قضية التأثير والتأثر (الإصدار 1). مصر: عالم الكتب.
- الجيلالي حلامية. (1999). تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصر. سوريا: اتحاد الكتاب العرب.
- تمام حسان. (1958). اللغة بين المعيارية والوصفية. مصر: المكتبة الأنجلومصرية.
- تمام حسان. (بلا تاريخ). العربية معناها ومبناها (الإصدار 02). مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- تمام حسن. (بلا تاريخ). مناهج البحث في اللغة. القاهرة، مصر: المكتبة الانجلومصرية.
- جرهارد هلبش. (1981). تاريخ علم اللغة الحديث (الإصدار 04). (سعيد حسن بحيري، المترجمون) مصر: مطبعة العمرانية للأوفست.
- جلال الدين السيوطي. (2003). تاريخ الخلفاء. مصر: دار ابن حزم.

- حافظ إسماعيل علوي. (2009). اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة -دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي واشكالاته. مصر: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- حجازي محمود فهمي. (1993). الأسس اللغوية لعلم المصطلح. القاهرة، مصر: دار غريب.
- خالد حامد. (2008). منهجية البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية. الجزائر: جسر للنشر والتوزيع.
- رشيد عبد الرحمان العبيدات. (2000). الألسنة المعاصرة والعربية. مجلة الذخائر (01).
- عبد الرحمان الحاج صالح. (2007). بحوث ودراسات في اللسانيات العربية. الجزائر: موفم للنشر.
- عبد السلام المسدي. (1984). قاموس اللسانيات. مصر: الدار العربية للكتاب.
- عبد العزيز حمودة. (أوت 2001). المراتب المقعرة: نحو نظرية نقدية عربية (سلسلة المعارف). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- عبد القادر سنادي. (2009). نافذة على علم الاجتماع اللغوي. مجلة معارف (07).
- علي عبد الواحد وافي. (بلا تاريخ). اللغة والمجتمع.
- فرديناند دي سوسير. (1987). محاضرات في اللسانيات العامة. (يوسف غازي، المترجمون) الدار البيضاء: إفريقيا للنشر.
- محمد علي عبد الكريم، و عبود و شلتاغ. (2010). منهج البحث الأدبي اللغوي. عين مليلة، الجزائر: دار الهدى.
- محمد محمد العمري. (2001). الأسس النظرية البنيوية والتوليدية. الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع.
- مصطفى غلفان. (1998). اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية. عين الشق، المغرب: جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- مصطفى غلفان. (2010). في اللسانيات العامة. بيروت، لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- منذر عياشي. (1990). قضايا لسانية وحضارية. سوريا: دار طلاس.
- مهدي المخزومي. (2003). قضايا نحوية. أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة: المجمع الثقافي.
- مهدي فضل الله. (1998). أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق (الإصدار 02). بيروت، لبنان: دار الطليعة.
- ناظم عودة. (2009). تكوين النظرية في الفكر العربي الإسلامي. بيروت، لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.